doi.org/10.52866/esj.2020.08.16.18

ملامح الانفتاح الثقافي
في الفكر التربوي الإسلامي

م. د. علاء حسن خلف

المستخلص ..

إنَّ هـذا البحـث الموسـوم بـ: (ملامـح الإنفتـاح الثقـافي في الفكـر التربـوي الإسـلامي) الـذي تقـدم بـه الطالـب: (عـلاء حسـن خلـف)، يعتـبر مـن البحـوث التـي تلقـي الضـوء عـلى مـدى الانفتـاح الفكـري والثقـافي في التربيـة الإسـلامية، مـن خـلال تبيـين مفهومـه، ومشروعيـة هـذا الانفتـاح، وأهميتـه عـلى الأفـراد والمجتمـع الإسـلامي، حيـثُ ذكرنـا مـن خلالـه الانفتـاح الفكـري الـذي جـاءت بـه الشريعـة الإسـلامية الغـراء، ومـا قـام بـه ﷺ مـن حيـث التعامـل مـع مختلـف الظـروف، وكيـف سـار سـلف هـذه الأمـة عـلى نهجـه، وكيـف تميـزوا بالثقافـة العاليـة، والعلـم الغزيـر.

كلمات مفتاحية: الانفتاح، الثقافة، الفكر، التربية، الإسلام.

Features of cultural openness
In Islamic educational thought

Dr. Alaa Hassan Khalaf

Abstract :

This research marked: (Features of cultural openness in Islamic educational thought) presented by the student: (Alaa Hassan Khalaf), is considered one of the studies that shed light on the extent of intellectual and cultural openness in Islamic education, by clarifying its concept and the legitimacy of this openness, And its importance to individuals and the Islamic community, as we mentioned through it the intellectual openness that the glorious Islamic Sharia brought, what he did Peace be upon him in terms of dealing with various circumstances, how the predecessors of this nation followed his approach, and how they were distinguished by high culture and abundant knowledge.

Key words: openness, culture, thought, education, Islam.

المقدمة

لقد قدمت لنا الحضارة الإسلامية نموذجًا إرشاديًا لقانون التعاون الحضاري الذي يلعب دورًا أساسيًا في تنمية الشعوب وحضارتها الصناعية، والتجارية، والزراعية، والعمرانية، والعلمية، والفنية، وصهروا هذه الخبرات والمعارف التي أخذوها، واستفادوا منها في بوتقة الإسلام، فظلت محافظة على قوام الدين الإسلامي، ومقوماته؛ لأنها ارتكزت على المكون الأساسي لها، وحصن الأمان لكل المسلمين وهو القرآن الكريم، وقاومت أيَّ تأثير يؤدي إلى شطرها، أو تلويثها، وهكذا ظلت الحضارة الإسلامية شامخة بعلمها، وعلمائها لمئات السنين.

ومضى المسلمون على هدى قرآنهم في الانفتاح، والتطور، والاستفادة من ثقافات الآخرين حتى تلا ذلك فترة انغلاق، واكتفاء ذاتي، وتقوقع طويلة تخللتها فترات صحو متفرقة أغلق بعدها باب الاجتهاد في الفقه الإسلامي، والابتكار، والإبداع في مختلف العلوم الأخرى مما أوصل المسلمين إلى عمق القاع، والتناقضات، والظلام الفكري، والمعنوي.

لذا كان المسلمون فريسة سهلة بيد أعداء الإسلام، حيثُ إنَّ أعداء الإسلام سعوا إلى فك العقل الإسلامي وإعادة تركيبه، وصياغته من جديد لصالحهم، وعلى أهوائهم، وكانت قضية التربية، والتعليم وسيلة رئيسية لتدمير وغزو الشخصية الإسلامية، وتخرج شبابنا فريسة وضحية لكل حملات الاستشراق، والتبشير في أرجاء الوطن العربي والإسلامي.

وواجهت نُظُمِنا التعليمية تحديات عديدة تفاوتت في درجاتها، فأدت إلى عجز التعليم العربي عن تحقيق التوازن بين معطيات التكنولوجيا المتطورة، والاعتزاز بتراثنا، وثقافتنا، وخصوصياته الحضارية، والتاريخية، فغدت العملية التعليمية خليطًا غير متجانس من الفلسفات والنظريات التعليمية الغربية، والتي قد تتوافق، أو لا تتوافق مع فكرنا الإسلامي، وتم عزو كل شيء في العملية التعليمية من قبل الفكر الغربي من إدارة، ومناهج وطرائق تدريس، ونظريات علمية، وأنماط تعليمية، وغيره...، فلا يدرس الطالب (الجامعي) إلا كل ما هو مكنسوب من قبل مفكري الغرب، وعلمائه، وكأن فكرنا التربوي الإسلامي لم يكن له وجود، ونسوا الغزالي، وابن جماعة، وغيرهم من العلماء الكثير، فنشأ جيل ملئ بالأفكار والفلسفات الغربية مغيب عن الدين واللغة، ونظر إلى أحكام الشريعة، والعادات، والتقاليد نظرة واحدة، وخلطها في بوتقة اسمها التخلف والرجعية، وأصبح الشاب لا يقال عنه متعلم ومثقف إلا إذا تبنى هذه الفلسفات، والأفكار الغربية، فيفكر، ويتكلم، ويأكل، ويشرب، وينام، ويلبس بطريقتهم لا بطريقتنا، ومع مرور الأيام والسنين أصبحت هناك عادات وتقاليد نعيشها، ونتقبلها في مجتمعنا، ولا يستطيع التمييز بين حلالها وحرامها إلا من رحم ربي.

أهمية الدراسة:

إن الانفتاح سيف ذو حدين لما له من مظاهر إيجابية يمكن للأمة أن تستغلها في الصعود والتعامل مع الحضارة العالمية ، وما يمثله من تهديد مدمر للأمة الإسلامية وثقافتها.

تعد من الدراسات التأصيلية التي تسعى إلى تأصيل مفهوم الانفتاح وبيان أهم ضوابطه وتحديد تأثيراته على العملية التربوية التعليمية يمكن يستفاد منها في تبصير كل من له علاقة بالعملية التعليمية من مشرفين، ومديرين، ومعلمين وكل من له اهتمام بالعمل التربوي وبمهنة التعليم.

خطة البحث: سوف نتناول هذا البحث في ثلاث مباحث هما:

المبحث الأول: مفهوم الانفتاح الثقافي.

المبحث الثاني: مشروعية الانفتاح الثقافي في الفكر التربوي الإسلامي.

المبحث **الثالث**: أهمية الانفتاح الثقافي.

المبحث الأول
مفهوم الانفتاح الثقافي

تعددت العبارت على الألسنة، وفي بعض الكتابات التي تتناول مفهوم الانفتاح الثقافي، كما وتعددت المصطلحات ذات الدلالة التي تحاكي معني الانفتاح الثقافي، ولكنها تحتاج إلى ضبط مفهوم؛ لأنها تحمل بين طياتها خلطًا غير محدد، لما يوحي به ظاهرها من مضمون ومغزى، لذا نسعى في هذا الطرح إلى توضيح هذه المصطلحات ذات الدلالة وأبراز مالها وما عليها من علاقة بالانفتاح؛ لتصل للمعنى الحقيقي المراد توضيحه في هذا البحث.

عند تحديد مفهوم كلمة الانفتاح الثقافي لابد من إرجاع الكلمة إلى حروفها الأصلية «ف ت ح»، والفتح: نقيض الإغلاق، فتحه، يفتحه، فتحاً، والمفتح، والمفتاح: مفتاح الباب، وكل ما فتح به الشيء، قال الجوهري: كل مستغلق، وفي الحديث: **(أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الكَلِمِ)**[1]، جمع مفتاح، ومفتح، وهما في الأصل مما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها[2]، فأخبر أنه أوتى مفاتيح الكلام، وهو ما يسر الله تعالى له من البلاغة والفصاحة، والوصول إلى غامض المعاني، ومبدع الحكم، ومحاسن العبارات، والألفاظ التي اغلقت على غيره وتعذرت عليه.

ومن كان في يده مفاتيح شيء فقد انفتحَ عنهُ، وتفتح الأكمة عن النور: تشققها والفتح: قناة الماء، وكل ما انكشف عن شيء فقد انفتح عنه، وتفتح الأكمة عن النور: نشققها والفتح: النصر ومن قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾[3]، قال أبو إسحاق: «معناه إن تستنصروا فقد جاءكم النصر[4].

وقد عرف الانفتاح الثقافي العديد من العلماء، وهي في مجملها تعريفات متقاربة، وكان من أهمها تعريف أبو سليمان في معرض حديثه عن شمولية الرؤية الحضارية بقوله: «الانفتاح الثقافي هو الاستفادة العلمية، والفنية الصحيحة من الغير دون المساس بالقيم، والعقائد، والمبادئ، والهوية»[5].

وعرفه الجعفري بقوله: «هو رفض التعصب، والجمود العقلي مع القدرة على التقبل والتعامل والتفاؤل مع الآخرين بقصد الاستفادة مما هو جديد ومفيد سواء ماديًا أو معنويًا شريطة عدم تعارض ذلك مع مصادر الشريعة الإسلامية»[6].

والتوفيق بين الإسلام وغيره من الحضارات يقتضي بالضرورة التلاقي الذي يسبقه التنازل من كل حضارة لتحقيق التوافق، وسعى إليه بعضهم

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422هـ)، «صحيح البخاري»، باب رؤية الليل، (9/ 33)

(2) الجوهري، إسماعيل بن حماد، (1987)، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، ج1، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، (1/ 389). مادة (فتح).

(3) الأنفال: 19.

(4) ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، 2003، «لسان العرب»، ج1، تحقيق عامر أحمد حيدر، بيروت، دار الكتب العلمية، ص536.

(5) ابوسليمان، عبد الحميد، 1991، «أزمة العقل المسلم»، ط3، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ص90.

(6) الجعفري، بن حسن، 2000، «الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية»، دار الأندلس الخضراء، جدة، ص201.

من منطلق إنهزامي يسعى لتفتيت منظومة وكيان الحضارة الإسلامية. وهذا التوافق الذي يقتضي التنازل ويصحبه الاستسلام هو الفارق بين الانفتاح الثقافي والتوفيق الحضاري.

المبحث الثاني
مشروعية الانفتاح الثقافي
في الفكر التربوي الإسلامي

كان القرآن الكريم – ولا يزال – نافذة على الأمم والتاريخ منذ أوائل نزوله فقد اطلع العرب والعالم على حضارات سبقت واندثرت وعلى ديانات مضت، وعلى أمم معاصرة لنشأة الإسلام مثل فارس والروم ويساق من قصصهم وحياتهم ما فيه عبرة لأولى الألباب، وحكى أنواعًا من سلوك الأمم وعاداتها وتقاليدها وفساد مناهجها، فحكى عن قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع، وما أصابهم من سنن الله من الظالمين والطاغين، وعبر القرآن الكريم عن القوانين الاجتماعية وترك للاعتبار استنتاج غيرها بعد ذكر العناصر التي تؤدي إلى استنتاجها[1].

ونزلت الآيات على رسول الله ﷺ مسايرة لتطورات العصر، وتعمل على تشكيل مجتمع متكامل له دستوره؛ لتنظيم علاقات المسلمين في مجتمعهم وفيما بينهم وبين الآخر من غير المسلمين، دون تعصب وإكراه واضطهاد وتجاوز لكل الاختلافات، والفوارق الدينية، والعرقية، واللونية، والطبقية، وأبطل النظرة الجاهلية التي تعتمد على التفاخر بالأنساب والأحساب التي تولد الصراعات. ورسم الرسول الأكرم الطريق الإنساني للتفاهم. والتعايش مع الآخرين لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى. فالخلق أو الناس كلهم عباد الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعباده[2].

وسيرة الرسول ﷺ تضع المعلم البارز للانفتاح فحث رسولنا الأكرم على اقتباس كل علم نافع ينفع الإسلام وأهله، ولو كان من عند غير المسلمين، كما استفاد من أسرى المشركين في بدر في تعليم أولاد المسلمين الكتابة قال رسول الله ﷺ: **(الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)**[3] انفتح الرسول الكريم على الثقافات الأخرى دون حرج في الأخذ والعطاء لجلب الصالح والنافع من النتائج الفكرية والعلمية ولبناء أمة حضارية.

والشواهد لانفتاح النبي ﷺ كثير، فقد روى مسلم في صحيحه عن جذامه بنت وهب الأسدية في كتاب الرضاع، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(لقد هممت أن أنهي عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم)**[4]، والغيلة: هو وطء المرضع.

وروى البخاري في كتاب العلم عن أنس بن مالك قال: (كتب النبي كتابًا أو أراد أن يكتب، فقيل له: أنهم لا يقرءون كتابًا إلا مختومًا، فاتخذ خاتمًا من فضة، نقشه محمد رسول الله، كأني أنظر إلى بياضه في يده)[5].

ولم يكن حفر الخندق للدفاع معروفًا عند العرب، ولكنه كان من فنون الفرس، وكان الذي

(1) بدوي، محمد، 1985، انفتاح الإسلام على ثقافات الأخرين، مجلة المسلم المعاصر، ص40.

(2) مبارك ، هاني، 1996، «الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب»، ط1، دار الفكر المعاصر، دمشق، ص11.

(3) الترمذي، أبو عيسي محمد بن سوده (د.ت) «سنن الترمذي»، ج 4–5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1/ 2687)

(4) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، «صحيح مسلم»، دار إحياء الكتب العربية، 1995، القاهرة، (1/ 1066)

(5) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، المكتبة المصرية، بيروت، (36/ 65)

أشار إلى حفره سلمان الفارسي، فقال: يا رسول الله، إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر رسول الله ﷺ بحفره، وعمل فيه بنفسه[1].

إنَّ الانفتاح الثقافي والبحث عن الحكمة والعلم وعن خبرات الجماعات الأخرى مرتبط بالعقيدة ويساعد على أمرين: الأول التعرف على مكامن الخير وأصوله في كل جماعة لتنميتها والاستفادة منها لتشخيصه وتحديد وسائل علاجه، ثانيًا التعرف على مواضع الشر، لتجنبها والبعد عنها وكل ذلك يساعد على تحقيق الأهداف البعيدة التي يعمل الإسلام من أجلها وهي توحيد الإنسانية على عبادة الله ويكون الدين كله لله»[2].

وسار الصحابة على هدى رسول الله ﷺ في الانفتاح الثقافي والتواصل مع العلوم فقال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: (الْعِلْمُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَخُذُوهُ وَلَوْ مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ وَلَا يَأْنَفْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْخُذَ الْحِكْمَةَ مِمَّنْ سَمِعَهَا مِنْهُ)[3]، وقامت الدولة الإسلامية بقيادة النبي ﷺ، واستغلت ما خلفه المجتمع الجاهلي من أدوات ووسائل مدنية، مثل: أساليب الزراعة، والبناء، والحرب، والقتال، والملابس، والأدوات المنزلية، والحرفية المتنوعة، وتلك المدنية ثمرة لتجارب الإنسان في الأرض، تتناقله الشعوب، وليس من إنتاج أمة واحدة، بل كل أمة ساهمت بنصيبها فيها، وتتفاعل الشعوب بعضها مع بعض في الاستفادة من هذه الخبرات، وتلك الصناعات.

وكانت بداية مراحل الانفتاح الثقافي الذي ساعد على قيام الدولة الإسلامية أن من يدخل الإسلام ينصب التغيير التام على عقيدته وشريعته وفكره وأخلاقه وقيمه، ويعلن انسلاخه التام عن عقائده السابقة، ويتقبل عقائد الدين الجديد ليصبح في زمرة المؤمنين، شيء من الحياة، فإن كان صانعًا، أو تاجرًا، أو مزارعًا فيبقى على مهنته إن شاء، ويتعلم الآداب المرتبطة بمهنته، فإن كان تاجرًا تعلم آداب التجارة وأحكام البيع والشرء ونحو ذلك، وإن كان مزارعًا تعلم ما يمس نشاطه من أحكام مثل الزكاة ونحوها، واحتكَّ المسلمون بالحضارات من أهل البلاد المفتوحة، وأدَّى إلى اختلاط العناصر المختلفة، وتلاقي الأفكار وتبادل الثقافات[4].

إنَّ الإسلام قد دفع أبناءه دفعًا قويًا إلى نشر الثقافة الإسلامية والتعرف على الثقافات الأخرى، ودراستها ومقارنتها بما عندهم والاستفادة بكل ما فيها من خير، والتقدم الحضاري وميراث الإنسانية كلها ولا يمكن احتكاره لشعب دون شعب، يقول «جوستاف لوبون»: (ومن العوامل الفاعلة في أصول المدنية التي وضع العرب أساسها، شدة ما كانوا عليه من الذكاء فإنهم ما كادوا يخرجون من صحاري بلادهم حتى اتصلوا بالمدينة اليونانية واللاتينية، فاستغربوا شأنها ثم ما لبثوا أن راضوها على أسلوبهم وطريقتهم. وتحمس العرب لدراسة العلم الجديد الذي خرجوا إليه بنفس الحماسة التي اندفعوا بها فاتحين، ولن تعوقهم أثقال عادات وأوضاع قديمة، فإن الحرية في البحث كانت أحد العوامل التي أسرعت بإنطلاقهم في طريق الرقي والتحضر الثقافي، ولم يمضي فترة قصيرة حتى طبعوا الهندسة، والفنون، والعلوم بطابعهم الذاتي

(1) الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد (ب.ت)، «المعجم الأوسط»، ج7، دار الحديث، القاهرة، (7/ 393).

(2) الكيلاني، نجيب عبد اللطيف ابراهيم، 1985، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص63.

(3) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، 1994م، «جامع بيان العلم وفضله»، ج1، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، السعودية، دار ابن الجوزي، ط1، (1/ 421).

(4) مبارك، هاني، 1996، «الإسلام والفاهم والتعايش بين الشعوب»، ط1، دار الفكر المعاصر، دمشق، ص41.

الـذي تعـرف بـه آثارهـم لأول وهلـة)[1].

ولا عجب عندما ننظر إلى اتساع الدولة الإسلامية في عهـد أمـير المؤمنـين عمـر بـن الخطـاب، وازداد اتصـال المسـلمين بالفاتحـين، وتعرفـوا عـلى الأنظمـة الفارسية، والبيزنطية، وتعرفـوا عـلى حضارتها فانتقـوا مـن بـين ذلـك مـا وجـدوه ملائـمًا، فأنشـأوا أوَّل خزانـة للوثائـق، وأُنشِـأَت العديـد مـن الدواويـن، فـكان هنـاك ديـوان الخـراج، وديـوان الجنـد، وديـوان الرسـائل[2].

المبحث الثالث

أهمية الانفتاح الثقافي

تعـددت أهميـة الانفتـاح الثقـافي ومبرراتـه فكانـت الأهميـة الشرعيـة، والأهميـة العلميـة، والأهميـة الاجتماعيـة والثقافيـة، والأهميـة الحضاريـة، والأهميـة التربويـة.

العلـم في القـرآن والسـنة ليـس خاصًـا بعلـم الشرائـع وأحـكام الحـلال والحـرام وحدهـا بـل التفقـه في كل مـا يدعـم الدعـوة وكل مـا يوسـع المـدراك ويبـصر الإنسـان بأمـور الحيـاة، ويفيـده توفيقًـا وقـدرة عـلى الاسـتفادة بـكل مـا خلـق الله لسـعادة البشريـة. إن إدراك طبيعـة الأرض ومـا يحيـي مواتهـا ويضيـف إلى عمارهـا ويجعلهـا تنبـت وتثمـر وتعمـر، علـم مطلـوب دراسـته وتعلمـه ومـا يصلـح الحيـوان ويسـخره لخدمـة الإنسـان واكتـمال الانتفـاع بـه، علـم يدعـو القـرآن إلى تعلمـه.

والطـرق المشروعـة لتحصيـل المـال واسـتثماره عـلى الوجـه الـذي ينظـم مـوارده ومصـادره ويمنـع التحكـم والاحتـكار ويزيـل الحقـد والغـل مـن النفـوس علـم يجـب التعـرف إليـه والتسـلح بـه والتعـرف عـلى الصناعـات بأنواعهـا التـي تيـسر للأنسـان سـبل الحيـاة وتمكنـه مـن الانتفـاع بالقـوى الكاملـة فيـما خلـق الله، علـم مطلـوب منـا الوقـوف عليـه[3].

والعلـم الـذي تحفـظ بـه الأنفـس مـن التهلكـة ومقاومـة الأمـراض والعلـل والطـرق المختلفـة لعلاجهـا والوقايـة منهـا علـم يجـب التـزود بـه وكل مـا يمكـن إعـداده مـن قـوى ندفـع بـه الأذى والعـدوان، علـم يجـب التسـلح بـه، فالعلـم العنـصر الأول مـن عنـاصر الحيـاة في نظـر الإسـلام فيـه حـارب الإسـلام الجهـل في كل وكـر مـن أوكاره، وكذلـك يقـول الغـزالي: (إنَّ تعلـم علـوم الصناعـات وكل مـا ينهـض بـشيء مـن الحيـاة يعتـبر فـرض كفايـة، حتـى تكفـي الأمـة احتياجاتهـا مـن جميـع مـا تحتـاج إليـه)[4].

لـذا فقـد وجـه رسـول الهـدى ﷺ أصحابـه إلى العلـم والصـبر والعمـل الصالـح وأصبحـوا سـادة العـالم حـين ذاك، وجعلـه رسـول الله ﷺ موضـع الغبطـة، كـما توعـد المصطفـى ﷺ مـن يقـصر في نـشره وجلبـه في قولـه: «**مـا بـال أقـوام لا يفقهـون جيرانهـم ولا يعلمونهـم، ولا يوعظونهـم، ولا يـأمرونهم، ولا ينهونهـم، ومـا بـال أقـوام لا يتعلمـون مـن جيرانهـم ولا يتفقهـون ولا يتعظـون. والله ليعلمـن قـوم جيرانهـم ويفقهونهـم ويأمرونهـم ويفهمونهـم، أو ليعجلـن لهـم، الله العقوبـة**»[5]. وهـذا يبـين بوضـوح مـدى حـرص الإسـلام عـلى العلـم والتعلـم والتـزود بالثقافـة ونشرهـا أيضًـا مهـما بلـغ الإنسـان مـن العلـم والعمـر فوجـب عليـه

(1) كـرد عـلي، محمـد بـن عبـد الـرزاق، «الإسـلام والحضـارة العربيـة»، تحقيـق: محمـد العـزازي، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط1، ص160.

(2) السرجاني، 2005، ص40.

(3) بـدران، جميـل، حبيـش، عـلى، نحـو حضـارة إسـلامية مسـتقبلية أساسـها الإيـمان والعلـم. 2002، متـاح عـلى الرابـط: http: / /www.imaddinl.jeeran.com /

(4) الغـزالي، محمـد، «خلـق المسـلم»، ط2، درا القلـم، بـيروت،1980، ص95.

(5) المنـذري، الحافـظ عبـد القـوي، «الترغيـب والترهيـب»، تحقيـق سـعيد محمـد اللحـام، دار الفكـر للطباعـة والنـشر، بـيروت،1987، (1/ 98).

الحرص على الاستفادة من جميع العلوم والمعارف وتعلمها ونشرها وظهر هذا جليًا في قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1].

وفي حديث أخر: أنَّ موسى -عليه السلام- سأل الله سبحانه وتعالى: أيّ عبادَكَ أَعلمُ؟.. قال: (الذي طلب علم الناس إلى علمه؛ ليجدَ كلمة تدلُّهُ على هدى، أو ترده عن خطأ)[2].

ولقد روت كتب السيرة أنه لما وقع في أيدي المسلمين بعض الأسرى ممن يقرؤون ويكتبون، جعل الرسول ﷺ فداء العاجز عن الفدية تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، كما أكد على تعليم ثقافة ولغة الغير وذلك ما رواه ابن سعد في الطبقات عن زيد بن ثابت قال: قال الرسول الكريم ﷺ: (**أَنَّه يأتيني كتب من أناس لا أحب أن يقرأها أحد فهل تستطيع أن تتعلم العبرانية أو السريانية؟ فقلت: نعم فتعلمتها في سبع عشر: فكنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كتب إليه**)[3].

ومضى المسلمون في الانفتاح الثقافي العلمي الشامل حتى نقلوا كتب اليونان، والرومان، والفرس إلى العربية في أواخر عهد بني أمية والدولة العباسية، وفي كتب التراجم عجائب من سعة الثقافة والإطلاع على العلوم عند علماء المسلمين الأوائل ممن لم يلج في البدع، والعقائد الضالة المنحرفة، وقد وجد فيهم من الحرص، والشغف بالكتب قراءة وتحصيلاً الشيء العجيب، فقد كانوا يكررون قراءة بعض الكتب الهامة مئات المرات، ويقرأون المطولات في المجالس المعدودة قراءة ضبط، وتدقيق، ويدرسون الكتب مرات كثيرة، وكذلك الأمر في نسخ الكتب وكتابتها.

وهذه بعض الإشارات التي تدل على مدى إبداع علماء السلف وعمق علومهم وإطلاعهم، والمتأمل في علمهم وعملهم يدرك أن أبرز سبب في عمق علومهم هو اتباعهم وفهمهم للمنهج الرباني، والسير على درب الأنبياء، وتعظيم حق الله تعالى ورسله وكتبه، فإنَّ من جهل الله تعالى وحقه فهو بغيره أجهل؛ حتى لو تزين بلباس الثقافة، والاطلاع[4].

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث لابدَّ لنا من أنْ نذكر أهم النتائج التي استخلصناها من هذا البحث، وهي كما يأتي:

- الفتح في اللغة: هو ضد الانغلاق، فالانفتاح: هو ضد الانغلاق.
- الانفتاح الفكري في الاصطلاح: هو رفض التعصب، والجمود العقلي مع القدرة على التقبل والتعامل والتفاؤل مع الآخرين بقصد الاستفادة مما هو جديد ومفيد سواء ماديًا أو معنويًا شريطة عدم تعارض ذلك مع مصادر الشريعة الإسلامية.
- الانفتاح الفكري مشروع فُهِمَ ذلك من القرآن الكريم، والسنة النبوية في تعاملهما مع مستجدات الأمور.
- واكب المسلمون تطورات الحياة عبر العصور، فلم يكونوا جامدين في الأخذ من علوم غير المسلمين، فنقلوا كتبهم إلى العربية، ودرسوها، وعلموها، وتعلموها.

(1) يوسف: 76.

(2) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، «شعب الإيمان»، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423هـ - 2003م، (7/ 291).

(3) الأشبيلي، ص97.

(4) السلمي، عبد الرحمن، بعنوان الانفتاح الفكري حقيقته وضوابطه، ع142، مجلة القلم، الرياض، 2005، ص3.

هذه أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، وفي الختام لابدَّ لنا أنْ ننبه إلى أنَّ الانفتاح بمفاهيمة المختلفة هو معرف مضامين الثقافات الأخرى مع انتقاء النافع منها والاستفادة منه انطلاقًا من الأصول الإسلامية.

علينا الانفتاح والمعاصرة لما يجري من حولنا في اتجاهين: الأول اتجاه الاستفادة من الخبرات البشرية المتراكمة في مختلف الحقول الإنسانية، والثاني الاستفادة مما يجري حولنا من التقنية العلمية وانجازات العلم، لأنها ليست حكراً على أحد، فهي متاحة للجميع؛ ولكن هذا الانفتاح وفق ضوابط ومعايير تربوية وإسلامية.

في ظل هذا الانفتاح اللامحدود أنه يجب إعداد المعلم المعاصر القادر على التفاعل مع تغيرات العصر وفق ما يلائم مجتماعتنا الإسلامية، وأن تتغير الأدوار وتزداد الأعباء على المعلم لبناء جيل قادر على النهوض بالحضارة الإسلامية.

يجب وضع تصور لمناهج إسلامية تواكب تغيرات، وتقلبات العصر، وتحافظ على القيم والمبادئ الإسلامية، وبتعبير لابد من صياغة مناهج إسلامية معاصرة.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر

- ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، 2003، «لسان العرب»، ج1، تحقيق عامر أحمد حيدر، بيروت، دار الكتب العلمية.
- أبو سليمان، عبد الحميد، 1991، «أزمة العقل المسلم»، ط3، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض.
- البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، المكتبة المصرية، بيروت.
- بدران، جميل، حبيش، على، نحو حضارة إسلامية مستقبلية أساسها الإيمان والعلم. 2002.
- بدوي محمد، 1985، انفتاح الإسلام على ثقافات الآخرين ، مجلة المسلم المعاصر، ع24، بيروت.
- الترمذي، أبو عيسي محمد بن سوده (د.ت) «سنن الترمذي»، ج4-5، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجعفري، بن حسن، 2000، «الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية»، دار الأندلس الخضراء، جدة.
- الخولي، عبد البديع ، 2000، التربية العقلية في الإسلام، جامعة الأزهر، غزة.
- سلطان، محمود السيد وصادق جعفر إسماعيل، مسار الفكر التربوي، ط2، جامعة الكويت، 1977.
- السلمي، عبد الرحمن، بعنوان الانفتاح الفكري حقيقته وضوابطه، ع142، مجلة القلم، الرياض، 2005.
- الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمدج (ب.ت)، «المعجم الأوسط»، ج7، دار الحديث، القاهرة.
- الغزالي، محمد، «خلق المسلم»، ط2، درا القلم، بيروت، 1980.
- كسبة، طه، 1981، آفة الانفتاح الثقافي على الغرب»، مجلة المسلم المعاصر،ع20، بيروت، لبنان.
- مبارك ، هاني، 1996، «الإسلام والفاهم والتعايش بين الشعوب»، ط1، دار الفكر المعاصر، دمشق.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، «صحيح مسلم»، دار إحياء الكتب العربية، 1995، القاهرة.
- المنذري، الحافظ عبد القوي، «الترغيب والترهيب»، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1987.
- الكيلاني، نجيب عبد اللطيف ابراهيم، 1985، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.